الفصل الثالث

أثر التخلص من التقاء الساكنين فى حدوث اللحن

أثر التخلص من التقاء الساكنين فى حدوث اللحن

تحريك عين الثلاثى :

من بين الظواهر اللغوية التى عدت من اللحن ، ظاهرة يرجح أن سببها التقاء ساكنين فى آخر الكلمة، أحدهما فى بنية الكلمة والآخر طارئ بسبب الوقف بالسكون وحذف الحركة الإعرابية ، هذه الظاهرة هى :

تحريك عين الاسم الثلاثى فى مثل : رَمَل ، سَمَن ، حَمَص ، فِطَر ، رُبَع ، بدل : رَمْل ، وسَمْن ، وحَمْص ، وفِطر ، ورُبْع ، بإسكان عين الكلمة .

فبعد الوقف بالسكون على هذه الكلمات وأمثالها يلتقى ساكنان هما عين الكلمة ولامها ، فحركت العين بحركة مناسبة للتخلص من التقاء الساكنين .

رأى سيبويه (١) :

قال سيبويه فى هذه الظاهرة :

« هذا باب الساكن الذى يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين وذلك قول بعض العرب : هذا بَكُرْ ، ومن بَكِرْ » .

فالدافع الأساسى للتحريك هو التقاء الساكنين عند الوقف ، وقد سماه النحويون الوقف بالنقل ، فعندهم أن حركة الإعراب انتقلت إلى الساكن قبلها ،

---

(١) كتاب سيبويه : ٢/٢٨٣

ولكنهم لا يوافقون على نقل كل حركة ، بل ينقلون الضمة والكسرة ، لأن حالة النصب لا يكون معها وقف بالسكون فى حالة التنوين ، نحو رأيت بكرًا أما رأيت البكر — ولا تنوين فيها — فلا يقولون فيها البكر (بالتحريك) أيضاً ، لأنها فى موضع التنوين كما قال سيبويه (٢) .

ولأن هؤلاء النحويين تمسكوا بما سموه نقل الحركة الإعرابية ؛ ولم يجعلوا التخلص من التقاء الساكنين بحركة أخرى غيرها ، رأيناهم يتأولون كلمات مثل : هذا عِدْلٌ بكسرتين . لأن قياس النقل أن يقال هذا عِدُل ، ولم ينطق به العرب . ومثل : فى البُسْرٌ وكان قياس النقل أن يقال فى البُسِرٌ ، ولم ينطق به العرب ، وتأويلهم الذى ارتضوه أنهم جعلوا كسرة الدال فى عدل ، وضمة السين فى البُسْرٌ إتباعاً لكسرة الحرف الأول ، وضمته (٣) . وسبب هذا التأويل قولهم إن الحركة الإعرابية انتقلت إلى الساكن الصحيح قبلها ، فلما لم يطرد النقل فى جميع الحالات قالوا فى عِدْل وبُسْر : الدال والسين تبعا الحرف الأول فى حركته ، وهذا الإتباع — وإن كان صحيحاً — لم يقع بسبب تعذر نقل الحركة الإعرابية ، إنما وقع ابتداء لتحقيق الانسجام الصوتى ، فالكسرة مع الكسرة ، والضمة مع الضمة ، وعامل الانسجام له أثر كبير فى تحديد الحركة التى يحرك بها وسط الثلاثى للتخلص من التقاء الساكنين (٤) ، على ما سنبين فيما بعد .

تفسير حدوث اللحن فى ضوء ما سبق :

وفى ضوء هذه الظاهرة ، أعنى تحريك عين الكلمة للتخلص من التقاء

---

(٢) المصدر نفسه : ٢/٢٨٤

(٢) كتاب سيبويه : ٢/٢٨٤

(٣) المصدر نفسه

(٤) راجع بحث « صيغ الاسم الثلاثى » للدكتور ابراهيم أنيس (مجلة مجمع اللغة العربية : ١٠ / ٨٣ — ٩٠) ؛ وخصائص اللهجة الكويتية للدكتور عبد العزيز مطر : ٨١

الساكنين ، سنحاول تفسير ما أورده الزبيدى وابن مكى من كلمات من هذا النوع ، وعدّاها لحناً .

قال أبو بكر الزبيدى (٥) : « ويقولون فيما كان على فَعْل مسكناً إذا وقفوا عليه (فَعَل) بتحريك وسطه بالفتح ، نحو : أمَر ، وقَصَر ، وحَمَص ورَمَل ، وربَع . وكذلك يفعلون فى فِعل أيضاً نحو : ذكَر وفِطر (٦) » .

وعقد ابن مكى باباً لما جاء ساكناً فحركه عوام صقلية ، ومن أمثلة الثلاثى التى ذكرها منثورة بين الكلمات الأخرى ، قولهم : ضَرَع ، خَمَل ، سَمَن ، بَقَل ، رَطَل ، حَبَل ، بَشَر ، قَرَع ، رَصَف ، فَدَم ، غَمَر (٧) ، وهذه الكلمات ساكنة العين فى اللغة العربية المشتركة .

وأورد ابن مكى أمثلة أخرى لهذه الظاهرة جاءت فى لغة العامة فى صقلية ، ولكنه يعدها صواباً لا لحن فيها ، لأن وسطها من حروف الحلق ، هذه الأمثلة هى : البحَر ، اللحَم ، النعَل ، البغَل ، النخَل ، البَخَل — قال : « وما أشبه ذلك » . ثم قال : « وهذا مطرد عند الكوفيين أن كل ما كان على فَعْل بالإسكان فإنه يجوز فيه فَعَل بالفتح إذا كان وسطه حرف حلق ، وأما البصريون فلا يفتحون منه إلا ما كان مسموعاً من العرب (٨) » .

وقد تتبعت هذه الظاهرة فيما ألف فى لحن العامة فى الأندلس والمغرب العربى بعد الزبيدى وابن مكى . فرجعت إلى كتابى :

---

(٥) لحن العامة : ٢٠٣

(٦) ظاهر كلام الزبيدى ان يقال فى ذكر وفطر : ذكر وفطر بفتح العين وليس بالكسر ، كما يدل كلامه ايضا على انهم لا يحركون عين ربع وقفل بالضم بل يفتحونها وهذا يدل عليه قول ابن هشام اللخمى ان اهل الاندلس يقولون : القفل والقدر بضم القاف وفتح الفاء فى الاول وكسر القاف وفتح الدال فى الثانى (المدخل : ٦٦) .

(٧) تثقيف اللسان : ١١٤ — ١١٨

(٨) تثقيف اللسان : ٢٢٩

١ — « المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان » (٩) لمحمد بن أحمد بن هشام اللخمى ، وهو فى لحن عامة الأندلس فى القرن السادس الهجرى .

٢ — « الجمانة فى إزالة الرطانة » (١٠) لمؤلف تونسى فى القرن التاسع الهجرى .

ومن مواضع متفرقة فى كتاب « المدخل » تبين أن عامة الأندلس يقولون :

رُبَع (فى الرُّبْع) وَرَضَف ونَمَل (١١) والنهد والقمح ، والقمل ، والقُنْفُل ، والقمدر (١٢) ، والسَّكَب (حرير رقيق) (١٣) والهزل ، والوحل (١٤) والدَّلُو (١٥) .

وفى « الجمانة » عقد المؤلف بابا لما جاء ساكناً وعوام تونس يفتحونه ، قال فيه ، « من ذلك السمْن وعمْرو اسم الرجل بإسكان الميم فيهما ، والعامة تفتح ميميهما ، والصواب الإسكان » (١٦) كما يقولون أيضاً : شعَر ونهَر . ولكن المؤلف يرى أن هذا ليس لحناً ، قال : « وأما نحو شَعْر وشَعر ونَهْر ونَهَر مما عينه حرف حلق فقد جاء فيه الفتح والإسكان ، وهو سماعى عند البصريين وقياسى عند الكوفيين » (١٧) .

---

(٩) مخطوط ولدى صورة منه . ونشرت القسم الأول فى الرد على الزبيدى وابن مكى .

(١٠) نشر هذا الكتاب بتحقيق حسن حسنى عبد الوهاب (القاهرة ١٩٥٣) .

(١١) ورقة : ٦٣ نسخة الاسكوريال (٩٩)

(١٢) ورقة : ٦٦

(١٣) ورقة : ٦٨

(١٤) ورقة : ٦٩

(١٥) ورقة . ٧٦

(١٦) الجمانة : ١٥

(١٧) المصدر نفسه : ١٦

هذه هى الظاهرة التى شاعت عند الأندلسيين ، والصقليين ، والتونسيين أيضاً ، وفى عصرنا الحاضر تشيع فى لهجات البدو فى الصحراء الغربية (١٨) ، وفى بعض المناطق بمحافظة الشرقية ، ومحافظة أسيوط ، ومحافظة قنا ، والكويت ، والبحرين ، وقطر ، والإمارات العربية ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، والسودان ، ونجد (١٩) .

وقبل هؤلاء شاعت هذه الظاهرة بين القبائل العربية قديماً ، كما يتبين من الكلمات الثلاثية الكثيرة التى جاءت بسكون العين وفتحها ، أى أن بعض القبائل العربية كان يسكن الوسط ، وبعضهم يحرك ، سواء أكان الثانى من حروف الحلق أم لم يكن ، فمن حروف الحلق : الشعْر والشعَر والنهْر والنهَر والصخْر والصخَر .وقد نقلنا من قبل رأى الكوفيين فى قياسية هذا التحريك فى كل ما كانت عينه حرف حلق ، ووقوف البصريين عند السماع (٢٠) ، ومما جاء بالإسكان والفتح مما ليست عينه حرف حلق ما رواه ابن السكيت(٢١) : نَشْز من الأرض ونَشَز ، رجل صدْع وصدَع ، وحكى الكسائى : النفْر والنفَر ، ويقال أيضاً : سطْر ، وسطَر ، وماله عندى قدْر وقدَر ، والدرْك والدرَك ، والطرْد والطرَد .

والرأى الذى ننتهى إليه فى تفسير هذه الظاهرة العربية القديمة التى استمرت فى لهجات الخطاب حتى العصر الحاضر ، أنها نشأت بسبب الساكنين فى هذه

---

(١٨) لهجة البدو فى اقليم ساحل مريوط ، تأليف الدكتور عبد العزيز مطر : صيغ الاسم الثلاثى .

(١٩) راجع : خصائص اللهجة الكويتية ، وأسرار اللهجة الكويتية ، وظواهر نادرة فى لهجات الخليج ، ودراسة صوتية فى لهجة البحرين — تأليف د. عبد العزيز مطر .

(٢٠) تفصيل ذلك فى كتاب المنصف لابن جنى : ٣٠٥/٢ وما بعدها .

(٢١) اصلاح المنطق : ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧

الكلمات الثلاثية ، أعنى سكون عين فَعْلٌ ، وسكون لامه بسبب الوقف ، أو بسبب سقوط حركة الإعراب ، فلصعوبة النطق بالساكنين المتتاليين فى بعض البيئات ، ولكراهيته — كما عبر سيبويه — حركت العين كى لا يجتمع ساكنان فى كلمة .

أما الذى يعين هذه الحركة ويجعلها فتحة ، أو ضمة ، أو كسرة فواحد من عاملين :

١ — طبيعة الحرف المراد تحريكه .

٢ — انسجام الحركة مع ما يجاورها من حركات (٢٢) .

وإذا حاولنا تطبيق ذلك على ما رواه الزبيدى وابن مكى من أمثلة لهذه الظاهرة فى لغة العامة فى الأندلس وصقلية ، وجدنا أن أثر العامل الثانى ، أى الانسجام بين الأصوات المتجاورة ، كان واضحاً فى جمهرة الألفاظ التى أوردناها فقد تبين أن كل ما كان على صيغة فَعْل (ومنه أكثر الأمثلة) ينطق عند العامة بفتح العين ، وفى هذا انسجام بين حركة الفاء وحركة العين .

وكان المنتظر — تبعاً لذلك — أن نتوقع أنهم يقولون فى قُفْل : قَفُل . وفى قِدْر : قِدَر . ولكن الزبيدى لم يذكر ذلك ، بل اكتفى بالقول بأنهم يقولون فى كل ما جاء على فَعْل مسكناً إذا وقفوا عليه بتحريك وسطه بالفتح . . . ثم قال : وكذلك فى فِعْل أيضاً . ويفهم من ذلك أنهم يقولونه على فِعَل . ويؤيد ذلك ما قاله ابن هشام اللخمى من أن عامة الأندلس فى زمانه ، يقولون : قُفَل ، وقِدَر .

والرأى أن هذا التحريك بحركة لا يقتضيها عامل الانسجام أو طبيعة الحرف إما أن يكون من القياس الخاطئ رغبة فى اطراد ظاهرة التحريك بالفتح ، وإما

---

(٢٢) الدكتور ابراهيم انيس : مجلة مجمع اللغة العربية : ١٠/٨٨.

أن يكون هؤلاء اللغويون أجروا استقراء ناقصاً لم تتبين منه جميع معالم هذه الظاهرة، أو يكونوا قد تركوا ما جاء بضم الفاء والعين مما جاء فى اللغة بوجهين وورد فى القرآن نحو: أفُق وأكُل، ورُبُع، وسُدُس، وعُنُق، وعُمُر... وسبب تركهم هذا النوع وروده بالوجهين، وهم مهتمون بتصحيح الكلمات التى جاءت بالفتح.

أما العامل الأول وهو أثر طبيعة الحرف المراد تحريكه، فيمكن تطبيقه أيضاً على الكلمات التى جاءت عينها من حروف الحلق، لأن هذه الحروف تؤثر الفتح على غيره من الحركات، ولهذا رأينا الكوفيين يجعلون الفتح معها قياساً مطرداً. ورأينا ابن مكى يعد ماقالته عامة صقلية مفتوح حرف الحلق من الصواب الذى جاء على القياس.

• • •